الرسالة

(١ تيموثاوس ٤: ٩–١٥)

يا إخوةُ صادقةٌ هي الكلمةُ وجديرةٌ بكلِّ قَبولٍ* فإنَّا لهذا نتعبُ ونُعيَّرُ لأنَّا ألقينا رجاءَنا على اللهِ الحيِّ الذي هو مخلِّصُ الناسِ أجمعين ولا سيَّما المؤمنين* فَوَصِّ بهذا وعلِّمْ به* لا يستَهِنْ أحدٌ بفتوَّتِكَ بل كُنْ مثالًا للمؤمنِيَن في الكلامِ والتصرُّفِ والمحبَّةِ والإيمانِ والعفافِ* واظِبْ على القراءةِ إلى حينِ قدومي وعلى الوعظِ والتعليمِ* ولا تُهمِلِ الموهِبَةَ التي فيك التي أُوتيتَها بنبوَّةٍ بوضعِ أيدي الكهنةِ* تأمَّل في ذلك وكُن عليهِ عاكِفاً ليكونَ تقدُّمُك ظاهراً في كلِّ شيءٍ.

زكا العشار

معيار حياتنا المسيحيّة هو حفظ وصايا الله. المقصود ليس حفظها عن ظهر قلب، إنّما تطبيقها. نجد في الكتاب المقدّس أمثلة وحوادث كثيرة تشدّد على هذا الأمر، منها مثلاً قول الربّ: «ليس كلّ من يقول لي يا ربّ يا ربّ يدخل ملكوت السماوات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات» (مت ٧: ٢١). يشدّد الربّ على هذا الموضوع في حادثة زكّا العشّار التي تُتلى على مسامعنا اليوم، خصوصًا إذا قارنّاها بحادثة الرئيس الغني (لو ١٨: ١٨–٢٥).

يحضّر الإنجيليّ لوقا للمقارنة بين الرئيس الغنيّ وزكّا العشّار بمثل الفرّيسيّ والعشّار (مت ١٨: ٩–١٤)، مظهرًا لنا أنّ الوصايا المطلوب حفظها ليست المتعلّقة بنا، بل بالآخرين، خصوصًا الفقراء، الأمر الذي يتجلّى لنا في عدّة أماكن من إنجيل لوقا، وأيضًا في حادثة زكّا العشّار.

يظهر لنا، من خلال وصف الإنجيليّ لوقا، أنّ الرئيس الغنيّ هو رئيس مجمع أو أحد القادة اليهود الذين يهتمّون بالشريعة، التي تمرّس بها، هو نفسه، منذ حداثته. لا شكّ في أنّ إطلاق الغنيّ صفة «المعلّم الصالح» على الربّ يسوع، كان لكي ينسب لنفسه الصلاح، إذ هو عارفٌ الشريعة غيبًا. غير أنّ الربّ قطع الطريق أمامه، مُظهرًا له أنّ الصلاح لا يمكن أن يكون بشريًّا، إذ إنّه مختصّ بالله وحده. كان ذلك تحضيرًا لِما سيحدث بعد ذلك. يعرف الربّ كيف تفكّر هذه الفئة من البشر، هو الذي تحدّث قبل قليل عن الفرّيسيّ والعشّار، مظهرًا من هذا المثل أنّ الطريق تبدأ بالتواضع: «لأنّ كلّ من يرفع نفسه يتّضع، ومن يضع نفسه يرتفع» (١٨: ١٤)؛ وبوداعة الأولاد: «الحقّ أقول لكم من لا يقبل ملكوت الله مثل ولدٍ فلن يدخله» (١٨: ١٧). كلّ هذا هو تحضير للتخلّي الكلّيّ عن الغنى الماديّ للوصول إلى الغنى بالله (لو ١٢: ٢١): «يعوزك أيضًا شيء، بِعْ كلَّ ما لك ووزِّع على الفقراء، فيكون لك كنزٌ في السماء، وتعالَ اتبعني» (١٨: ٢٢).

العدد ٣ / ٢٠١٨

الأحد ٢١ كانون الثاني

تذكار البار مكسيموس المعترف

والشهيد نيوفيتوس

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر الحادي عشر

هذا ما قام به زكّا، من دون أن يسأل الربّ عمّا يجب فعله: «فوقف زكّا وقال للربّ: ها أنا يا ربّ أعطي نصف أموالي للمساكين (للفقراء)، وإن كنتُ قد وشيتُ بأحدٍ أردُّ أربعةَ أضعافٍ» (١٩: ٨). تبرّر زكا، وهو رجل خاطئ، كما وصفه الجميع (١٩: ٧)، مجسِّدًا بذلك مثل الفرّيسيّ والعشّار الذي ذكره الربّ قبلًا، لأنّه طبّق وصايا الربّ، واستحقّ أنّ يسمّى «ابن إبراهيم» (١٩: ٩).

إذًا، ثمّة ارتباط بين مَثَل الفرّيسيّ والعشّار ومباركة الأولاد من جهة، وبين حادثتي الرئيس الغنيّ وزكّا العشّار من جهة ثانية. لكن، قد يستغرب القارئ ذكر مَثَل الأرملة وقاضي الظلم (١٨: ١–٨)، وحادثة أعمى أريحا (١٨: ٣٥–٤٣)، ويتساءل عن ارتباطهما بما ذكرناه، خصوصًا أنّهما مذكوران في الإصحاح نفسه.

للوهلة الأولى يظهر أنّ لا شيء يربط هاتين الحادثتين بزكّا والرئيس الغنيّ. إذا قرأنا النصّ جيّدًا، نجد أنّ الأعمى سار على خطى الأرملة نفسها، وبذلك استجاب له الربّ. لقد أدّى إلحاح الأرملة، إلى استجابة القاضي وإنصافها (١٨: ٥–٨)، مثلما أدّى إلحاح الأعمى إلى استعادته البصر. إضافةً إلى ذلك، فقد سأل الربّ سامعيه بعد مَثَل الأرملة: «ولكن متى جاء ابن الإنسان، ألعلّه يجد الإيمان على الأرض؟» (١٨: ٨). يفترض هذا السؤال إجابةً بالنفي، إلّا أنّ الربّ نفسه قدّم الإجابة في حادثة الأعمى، وكانت إيجابيّة، أي إنّه سيجد الإيمان على الأرض: «فصرخ قائلًا: يا يسوع ابن داود، ارحمني! فانتهره المتقدّمون ليسكت، أمّا هو فصرخ أكثر كثيرًا: يا ابن داود، ارحمني! فوقف يسوع وأمر أن يقدَّم إليه. ولمّا اقترب سأله قائلاً: ماذا تريد أن أفعل بك؟ فقال: يا سيّد أن أبصر! فقال له يسوع: أبصِرْ. إيمانك قد شفاك. وفي الحال أبصر، وتبعه وهو يمجّد الله» (١٨: ٣٨–٤٣).

كذلك بالنسبة إلى السؤال الذي طرحه السامعون بعد أن تلقّوا إعلان الربّ يسوع: «ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله! لأنّ دخول جمل من ثقب إبرةٍ أيسر من أن يدخل غنيّ إلى ملكوت الله! فقال الذين سمعوا: فمن يستطيع أن يخلص؟ فقال غير المستطاع عند الناس مستطاعٌ عند الله» (١٨: ٢٤–٢٧). أتت الإجابة من تصرُّف زكّا، الذي كان غنيًّا، بحسب وصايا الله، فاستحقّ الخلاص: «اليوم حصل خلاص لهذا البيت، إذ هو أيضًا ابن إبراهيم» (١٩: ٩).

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الربّ ليس ضدّ الغنى بذاته أو ضدّ الأغنياء عمومًا، بل ضدّ اعتقاد الإنسان بأنّ غناه المادّيّ هو ما يضمن له حياته (لو ١٢: ١٣–٢١)، في حين أنّ الغنى هو عطيّة من الله الذي هو الضمانة الوحيدة. يجب أن يتخلّى الإنسان عن اعتقاده هذا نهائيًّا، فيكون غناه من الله المُغدِق خيراته على من يشاء هو، أي الله، بغية مساعدة المحتاجين، شرط أن يتبع يسوع ويترك تمسّكه بغناه: «فقال بطرس: ها نحن قد تركنا كلّ شيء وتبعناك. فقال لهم: الحقّ أقول لكم، إن ليس أحدٌ ترك بيتًا أو والدَين أو إخوة أو امرأةً أو أولادًا

الإنجيل

(لوقا ١٩: ١–١٠)

في ذلك الزمان فيما يسوعُ مجتازٌ في أريحا إذا برجُلٍ اسمُه زكّا كان رئيساً على العشّارين وكان غنيًّا* وكان يلتَمِسُ أن يرى يسوعَ مَن هو فلم يكن يستطيعُ من الجمع لأنَّه كان قصيَر القامة* فتقدَّم مسرعاً وصعِدَ إلى جمَّيزةٍ ليَنْظُرَهُ لأنَّه كان مُزمعاً أن يجتازَ بها* فلمَّا انتهى يسوعُ إلى الموضع رفع طَرْفَهُ فرآهُ فقال لهُ يا زكّا أسرِعِ انزِلْ فاليومَ ينبغي لي أن أمكُثَ في بيتك* فأسرعَ ونزَلَ وقَبِلَهُ فرِحاً* فلمَّا رأى الجميعُ ذلك تذمَّروا قائلين إنَّهُ دخل ليحُلَّ عند رجلٍ خاطئ* فوقف زكّا وقال ليسوعَ هاءَنذا يا ربُّ أُعطي المساكينَ نِصْفَ أموالي. وإن كنتُ قد غبَنْتُ أحداً في شيءٍ أَرُدُّ أربعةَ أضعافٍ* فقال لهُ يسوعُ اليومَ قد حصلَ الخلاصُ لهذا البيتِ لأنَّه هو أيضاً ابنُ إبرهيم* لأنَّ ابنَ البشر

إنَّما أتى لِيطلُبَ ويخلِّصَ ما قد هلك.

تأمل

«كُنْ مثالاً للمؤمنين في الـ كلام والتصرّف والمحبة».

على الذي يملك محبة المسيح أن يعمل بوصايا المسيح. مَن ذا الذي يستطيع أن يصف رباط محبة الله؟ مَن ذا الذي يستطيع أن يعبّر عن سموّ جماله؟ إن العلو الذي ترفعنا إليه المحبة لا يمكن تفسيره. المحبة توّحدنا بالله، المحبة تستر جمّاً من الخطايا. المحبة تتحمّل كل شيء وتصبر على كل شيء ولا تأتي قباحة ولا تنتفخ. المحبة لا تُحدث شقاقاً، المحبة لا تُحدث فتنة. في المحبة اكتمل جميع مختاري الله. بدون المحبة لا يروق شيء في نظر الله.

بالمحبة رفعنا السيد إليه. وبسبب المحبة التي أحبّنا بها، سفك يسوع المسيح ربنا دمه لأجلنا بحسب مشيئة الله، وأعطى جسده لأجل جسدنا وروحه لأجل أرواحنا.

انظروا، أيها الأحباء، كيف ان المحبة عظيمة وعجيبة، ولا يستطيع أحد أن يصف كمالها. مَن يا من أجل ملكوت الله، إلاّ ويأخذُ في هذا الزمان أضعافًا كثيرة، وفي الدهر الآتي الحياة الأبديّة» (١٨: ٢٨-٣٠).

صار زكّا العشّار، باتّباعه وصايا الله، مثل الربّ يسوع «ابن داود» (١٨: ٣٨؛ ١٩: ٩). لقد ترك كلّ شيء وراءه، واضعًا نصب عينيه الربّ يسوع الذي أخلى ذاته وأطاع أباه السماوي حتّى الموت، موت الصليب (في ٢: ٧-٩)، وساعد المحتاجين وشفى المرضى وأقام الموتى. اليوم، تدعونا كنيستنا المقدّسة إلى الاقتداء بزكّا، فنسير على خطى الربّ يسوع، وننال الخلاص.

المعموديّة وثمارها

إجتمع عام ١٩٨٢ أكثر من مئة لاهوتيّ من مختلف المذاهب المسيحيّة في مدينة «ليما» في البيرو وأصدروا وثيقة مشتركة بعنوان: «المعموديّة، الإفخارستيّا والكهنوت». ذُكِرَ في هذه الوثيقة أنّ «المعموديّة اشتراك في موت المسيح وقيامته (رو ٦: ٣-٥، كو ٢: ١٢)، تبرير وتطهير من الخطيئة (١كو ٦: ١١)، ولادة جديدة (يو ٣: ٥)، واستنارة بالمسيح (أف ٥: ٨-١٤)، لبسٌ له (غل ٣: ٢٧)، تجديد بالروح القدس (تي ٣: ٥)، خبرة الخلاص من الطوفان (١بط ٣: ٢٠-٢١)، خروج من العبوديّة (١كو ١٠: ١-٢)، وتحرّر نحو طبيعة إنسانيّة تتجاوز عوائق الانقسام في الجنس أو العرق أو الوضع الاجتماعيّ (غل ٣: ٢٧-٢٨، ١كو ١٢: ١٣)». أيضًا، كُتِبَ في الوثيقة نفسها أنّ «المعموديّة تعني اشتراكًا في حياة يسوع المسيح وموته وقيامته».

المعموديّة هي الميلاد الثاني للإنسان، لكن «ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله» (يو ١: ١٣). إنّها الولادة من فوق: «إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله... إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله. المولود من الجسد جسدٌ هو، والمولود من الروح هو روح» (يو ٣: ٣-٦). لذا، يقول القدّيس سمعان التسالونيكيّ إنّ المعموديّة هي السرّ «الذي يُعيد ولادتنا بالروح». يولد الإنسان، بالمعموديّة، ولادة جديدة في المسيح يسوع، فيصبح عضوًا في جسد المسيح وتُفتَح له أبواب الملكوت. تعيد المعموديّة رسم صورة الله في الإنسان الساقط، معيدةً إليه الجمال الأوّل الذي فقده والشركة مع الله. يكتب القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم في عظة عن المعموديّة: «أولئك الذين كانوا أسرى أصبحوا اليوم رجالاً أحرارًا ومواطنين في الكنيسة، والذين كانوا في الخطيئة خجلين صاروا اليوم في طمأنينة العدل، ولم يصيروا أحرارًا فحسب بل قديسين، وليسوا قديسين فقط بل مبرَّرين، وليسوا مبرَّرين فقط بل أبناء، وليسوا أبناء فقط بل ورثة، بل إخوة في المسيح، وليسوا إخوة فقط بل شركاء في الميراث، وليسوا شركاء في الميراث فحسب بل هياكل، وليسوا هياكل فحسب بل أدوات الروح».

يعتبر القدّيس نيقولاوس كاباسيلاس الأسرار بمثابة «أبواب السماء، أبواب الفردوس التي بها يُدخل المسيحُ المؤمنين

إلى ملكوته». سرّ المعموديّة هو عتبة أبواب الفردوس، الذي، عندما تجتازه، تُفتح لك الآفاق للمشاركة في كلّ الأسرار الموصِلة إلى الملكوت، وفي حياة الكنيسة عمومًا. لذلك، وعت الكنيسة، منذ القرون الأولى، أنّه لا يحقّ لمن لم يعتمد أن يشترك في بقيّة الأسرار، الأمر الذي ورد في كتابات الآباء: «لا أحد يشرب أو يأكل من الإفخارستيّا إلّا المعمَّد باسم الربّ» (كتاب الذيذاخي ٩: ٥/القرن الثاني)، و«الروح القدس لا يسكن في أولئك الذين لم يعتمدوا ولكن بعد إثبات أنّهم نالوا الروح القدس بالمعموديّة، فلا شيء يمنعهم من لمس المسيح إلهنا» (القدّيس كيرلّس الإسكندريّ/القرن الرابع).

إذًا، لو أردنا تعداد ثمار المعموديّة لقلنا إنّ أولى الثمار هي دخول الكنيسة – جسد المسيح، حيث يتّحد المعتمد بالمسيح وينضمّ إلى جسده ويصبح في شركة مع أعضاء هذا الجسد، فيصبح قادرًا على أن يحيا الأسرار الأُخرى ويمارسها.

ثاني ثمار المعموديّة محو آثار خطيئة الجدَّين الأصليّة، آثار الفساد الذي دخل طبيعتَنا البشريّة مع السقوط. لا نرث الخطيئة الجدّية بيولوجيًّا عبر الولادة الجسديّة، بل المقصود أنّنا نولد في جوٍّ فاسد تسيطر عليه الخطيئة، جوٍّ روحيّ موبوء. المعموديّة تُحصّننا وتعطينا القوى والنِّعَم التي تساعد نموَّنا في الحياة مع المسيح.

الثمرة الثالثة هي أنّ المعموديّة تُعيد الإنسان إلى المناخ الإلهيّ وتجعله من مواطني السموات، أي تعيده إلى الملكوت. المعموديّة، بحسب القدّيس غريغوريوس النيصصيّ (١٠ كانون الثاني) هي «الباب المفتوح» الذي به يستطيع الإنسان أن «يعود إلى حيث خرج». هناك يُكتب اسمه في سفر الحياة في الملكوت. لذا، يدوِّن الكاهن، قبل بدء خدمة المعموديّة، اسم الطفل المزمع تعميده على سجلّ خاصّ دعاه الآباء القدّيسون «دفتر الحياة».

أخيرًا، لا بدّ من أن نذكر قولاً للقدّيس إيريناوس أسقف ليون يتحدّث فيه عن الماء الذي من دونه «لا يصير الطحين عجينًا مختمرًا أو خبزًا واحدًا... هكذا نحن الكثيرين لا يمكن أن نصير واحدًا بالمسيح من دون الماء النازل من السماء».

من أقوال البار مكسيموس المعترف

لنهربْ من حبّ المادّة ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ولْنجلُ عن أعين ذهننا كلَّ ما يشدّنا إلى هذا الحب كغُبار. لنكتفِ بالأمور التي تساعدنا على العيش، دون تلك التي تُرضي حياتنا الحاضرة. ولْنطلب إلى الله علاوةً على ذلك، وكما علّمنا هو، أن نستطيع حِفْظ النفس حرّةً من كلّ عبوديّةٍ وغيرَ خاضعةٍ أبداً لأيٍّ من المنظورات بداعي الجسد. لنبرهنْ أنّنا نأكل لنعيش ولا نكنْ متَّهَمين بأنّنا نعيش لنأكل.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:
www.facebook.com/metbei

ترى يستطيع بلوغها إلّا الذي يمنحه الله نعمتها؟ فلنتوسل إليه إذاً، ولنطلب من رحمته أن نبلغها بدون محاباة ولا لوم. كل الأجيال منذ آدم إلى اليوم قد اندثرت، ولكن الذين بلغوا المحبة بنعمة الله يقيمون في مقرّ القديسين الذين سيظهرون عند مجيء ملكوت المسيح. فقد كتب: «هلمّ يا شعبي ادخل أخاديرك، واغلق أبوابك عليك، توارَ قليلًا إلى أن يجوز السخط. أنا أصعدك من قبورك» (إش ٢٦: ٢٠؛ حز ٣٧: ٢٠).

نكون سعداء، أيها الأحباء، لو نحن أتممنا وصايا الله في وئام المحبة، لكي تُغفر لنا خطايانا بسبب المحبة. فقد كُتب: «طوبى لمن غُفرت معصيته وسُترت خطيئته. طوبى للرجل الذي لا يَحسِب له الرب خطيئة وليس في روحه غشّ» (مز ٣١: ١–٢). هذه التطويبة موجهة إلى الذين اختارهم الله بربنا يسوع المسيح الذي يليق به المجد إلى أبد الدهور، آمين.

القديس إقليمس الرومي